

التأصيل اللساني عند عبد الرحمن الحاج صالح النظرية الخليلية الحديثة أنموذجا

Linguistic rooting according to Abd al_Rahman al_Haj Saleh

The modern Khalilian theory as a model

د. يعقوب عمر*

الجزائر

Yagoub.omar@univ_ouargla.dz

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/05/23

تاريخ الاستلام: 2025/05/01

ملخص:

يسعى هذا المقال إلى تسليط الضوء على النظرية الخليلية الحديثة التي تتبدى من خلالها أهم الآليات والإجراءات العلمية التي اعتمدها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في تأسيسه للدرس اللساني العربي الحديث، فنظرت له لم تحذف إلى إعادة قراءة التراث العربي فحسب، بل كانت دراسة ابستمولوجية دقيقة لمفاهيم النحاة وتصوراتهم، مسيرة دامت قرابة الأربعين عاما دأب فيها هذا الرجل إلى إبراز جهود الأوائل الخالص من علماء العرب بدءا من الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي أسس أهم علوم العربية وأكثر من اجتهد في صقل مناهجها وطرائق التحليل فيها، إلى تلميذه سيبويه وابن جني و عبد القاهر الجرجاني، تمثلت تلك الدراسات في علوم وأجناس معرفية "صوتية وصرفية ونحوية ودلالية ومعجمية".
الكلمات المفتاحية: النظرية الخليلية الحديثة، القياس، العامل.

Abstract:

This article aims to shed light on the modern khalilian theory through which the important mechanisms and scientific procedures adopted by Dr.Abdurrahman Al-Haj Saleh in establishing the modern Arabic linguistic lesson are manifested. His approach was not only aimed at re-reading the Arabic heritage, but it was also a meticulous epistemological study of the concepts and perceptions of grammarians throughout a journey that lasted for about forty years. During this period, this scholar consistently highlighted the efforts of early Arab scholar

Starting with Al-khalil bin Ahmed Al-Farahidi, who laid the foundation for the most important Arabic linguistic sciences and dedicated himself to refining its methodologies and analytical approaches. This tradition continued with his student Sibawayh then Ibn Jinni, and

* د. يعقوب عمر.

Abdul Qahir Al-Jurjani, among others . These studies encompassed various fields of knowledge, including phonetic, morphology, syntax, semantics, and lexicography .

Keywords:

Modern Khalilian Theory , Analogy , Factor

1. مقدمة:

تجاوز اللغويون والنحاة العرب القدامى الوسائل المتاحة في زمانهم وبيئتهم ليعوضوها بوسائل عقلية علمية أسهمت في دراسة اللغة العربية وأحاطت بها، شملت بتلك الدراسات العديد من المعارف الصوتية والصرفية والمعجمية والدلالية.

وهو ما سعى العالم الجزائري الفذ عبد الرحمن الحاج صالح، إلى تبينه وإبرازه، في مسيرته العلمية التي دامت قرابة الأربعين عاما، عكف فيها هذا العالم على دراسة أعمال التراثيين وفق منهج علمي يتوخى الشمول والدقة وعدم التناقض، لم تهدف هذه الدراسة لإعادة قراءة التراث فحسب أو للانتصار لكل ما هو قديم، بل اتبع خطوات ابستمولوجية دقيقة لتحليل اعمال ونصوص العلماء العرب القدماء.

إن ما توصل له العلماء الخالص الأوائل بدءا من الخليل وسيبويه وابن جني إلى عبد القاهر الجرجاني في دراسة اللغة وعلومها تفسيراً وتحليلاً وتعليلاً لم يكن نسخة لغيره بل ولم يتأثر بعلوم الآخرين عكس ما يروج له البعض من العلماء المحدثين، بل كان علما عربيا أصيلا درس اللغة العربية في ذاتها ومن أجل ذاتها وفق منهج فكري رياضي.

2- النظرية الخليلية الحديثة :

هي تحديد للمفاهيم والتصورات التي توصل لها النحاة واللغويون العرب بإعادة ترميم المقولات القديمة ببعض النظريات اللسانية الحديثة، لكي لا يكون انقطاع للدرس اللغوي العربي عن جذوره أعيد تقديمها وتبيين المفاهيم العلمية والفكر الرياضي الذي تأسس عليه النحو العربي القديم .

تزعم هذه النظرية العالم الرياضي اللساني الحاج صالح، الذي عمل على تطوير نظريات كل من الخليل، سيبويه وابن جني بناء على ما استجد من نظريات لسانية حديثة وما أنتج في مجال الاعلام الآلي، حيث طبق مواصفاتها على الحوسبة اللغوية التي تفرضها أنماط التعامل مع الأجهزة الحديثة "(بلعيد، 2003).

فهي في الواقع نظرية ثانية، لأنها في الوقت نفسه تنظير وبحث في الأسس النظرية الخيلية الأولى، وقراءة جديدة لهذا التراث، وإعادة صياغة مفاهيمه الأساسية ومقارنتها بما توصل إليه البحث اللساني الحديث، ومحاولة استثمار ذلك في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة (صالح، 1984)

والحقيقة أن الرعيل الأول من النحويين كانوا أولي عقل واسع وفكر رصين حيث اعتمدوا في تحليلهم للظواهر اللغوية وتعليلها على منهج علمي دقيق، وفكر رياضي عميق .

حيث أن السبب الرئيس في تطور البحوث اللغوية الحديثة، راجع إلى الأسس العلمية التي انبنى عليها التراث اللغوي، ثم إن مستقبل البحوث اللغوية مرهون، بمدى نجاح هذا الاستثمار بالنسبة لكل لغة .

استطاع باحثون جزائريون إلى أن يتوصلوا لنظرية، تقوم على المفاهيم والتصورات التي انبنى عليها النحو العربي القديم، سبق هؤلاء العلماء لمعالجة بعض الظواهر اللغوية، التي لا وجود لها في الدرس اللساني الغربي حديثه وقديمه، وهذا ما أثبتت صحة نتائجه، التجارب التي أجريت بأحدث الوسائل خاصة في الصوتيات، وكذلك المقابلة بين اللسانيات التراثية والحديثة.

أما الدافع الذي جعله يتناول التراث اللغوي العربي بنظرة جديدة ليخرجه بثوب حديثي، أن هذا التراث لم يكن نسخة لغيره، كما أن المفاهيم والنظريات العربية ليست مطابقة لكل ما توصلت له اللسانيات الغربية وذلك لسببين :

1_ الاختلاف الكبير في الفكر والتصورات (مثل ما نجده عند ابن مالك مثلاً وشروح مؤلفاته)، فالتصور العلمي يختلف فيهما تماماً.

2_ وأما الثاني فيتبدى فيما اعتمده الخليل ومن عاصره ومن تبعه، في صياغتهم قوانين وقواعد بنيت في الأساس على فكر رياضي.

لم تكن هاته الأحكام من دافع أو انتماء قومي، بل بعد اطلاعه على التراث اللغوي العربي السنون الطوال، وتمحيصه الدقيق لما جاءت به النظريات اللسانية الغربية الحديثة، مكنته من مقابلة بعض ما انتبه له النحاة واللغويون العرب، مع أحدث ما توصل إليه اللسانيون الغربيون، ليبيدي أفضلية السبق للتراث، ويقر بما ابتدعته اللسانيات الغربية في دراسة اللغة.

ويقول عنها الدكتور محمد صاري بأنها " قراءة التراث بمنظار علمي بعيد عن التعسف في الاستنتاج، والاعتباط في التأويل وبفضل جهود علمائها وباحتثها عرفت الدارسين بخصائص علوم اللسان العربي ومضامينه النوعية انطلاقا من مقولات اللسانيات الحديثة، فأثبتت الحلقة المفقودة التي تجاهلها الغربيون عندما أرخوا للفكر اللساني البشري" (صاري، 2000) .

لم تكن إسهامات الخليل في علوم اللغة حكرا عليه وحده، فقد برز إلى جانبه عدد من العلماء الذين أظهروا نبوغا وعبقرية قد تماثل عبقريته، وعلى سبيل المثال ما صنعه الإمام الشافعي، الذي عُد في علوم أصول الفقه بمثابة ما صنعه الخليل في النحو.

تنبني على مبدئين أساسيين هما :

1 - لا يفسر التراث إلا التراث، فكتاب سيويو لا يفسره إلا كتاب سيويو، ومن الخطأ أن نسقط على التراث مفاهيم وتصورات دخيلة تتجاهل خصوصياته النوعية.

2 - أن التراث العربي في العلوم الإنسانية عامة واللغوية خاصة ليس طبقة واحدة من حيث الأصالة والابداع فهناك تراث وتراث" (صاري، 2000) .

3-المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة :

اعتمد العلماء العرب الأوائل على العديد من المفاهيم في تحليلهم للظواهر اللغوية وهو ما حاول الحاج صالح تبينه، ومن هاته المفاهيم ما يلي :

3_1 مفهوم المثال :

إن النحو كله مثل لأنها الصيغ والرسوم، وهو شيء صوري والتي تبنى عليها كل وحدات اللغة أفرادا وتركيبا، فهو تصور وتمثيل لما تحدته الحدود الإجرائية وعلى هذا فمثال الكلمة هو بناءها ووزنها لأنه يمثل بكيفية صورية مجردة الهيئة التي يكون عليها هذا الجزء من اللفظة الذي يسمى بالكلمة ... " (صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية الجزء 1، 2012)

ويمكن توضيح ذلك في الجدول الآتي (جناح، 1998) :

2_3 مفهوم العامل :

ليست اللفظة الوحدة الصغرى التي يتركب منها مستوى التركيب لأن هذا المستوى وحدات أخرى من جنس آخر أكثر تجريداً . وههنا ينطلق النحاة من العمليات الحملية أو الإجرائية : يحملون مثلاً أقل الكلام مما هو أكثر من لفظة باتخاذ أبسطه وتحويله بالزيادة، مع إبقاء النواة" . وذلك مثل: (صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية الجزء 1، 2012 ص 223):

773

ففي العمود الأيمن يدخل عنصر قد يكون كلمة أو لفظة بل تركيباً وله تأثير على بقية التركيب ولذلك سمي "عاملاً".

هذا ما تعلق باللفظ أما المعاني فتتقسم إلى أصل وفرع . أما الأصول فهي التي تتحدد بدلالة اللفظ ليس إلا. وهي من معطيات المواضع الخاصة بلغة من اللغات في زمان معين من تطورها . وأما الفروع فهي المعاني التي تتحدد بدلالة غير لفظية". (صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية الجزء 1، 2012 ص 225).

3_3 الأصل والفرع :

اهتم النحاة واللغويون العرب بمفهومي الأصل والفرع، إذ يتم بهما التفريق بين الوحدات اللغوية في وضعها داخل أجناس متداخلة ليميزوا بين ما هو أصل وما هو فرع .

أ- مفهوم الأصل :

ما هو أولي بالنسبة لشيء آخر يدعى الفرع وعند العرب، هو ما يبنى عليه ولا يبنى على غيره، فهو عنصر ثابت مستمر لا يمكن أن ينحل أو يتجزأ إلى الأصغر، والإزال بناءؤه وفقد معناه ومثال المذكر أصل المؤنث النكرة أصل المعرفة.

ب- مفهوم الفرع :

هو نتيجة لعملية اشتقاق انطلاقاً من الأصل وفق تحويل معين، فهو أصل مع زيادة إيجابية أو سلبية ومثال ذلك المثني والجمع فرعان للمفرد الأصل، ففي نظر النحاة العرب، هو أن كل وحدة لغوية إما أن تكون أصلاً يبنى عليه الفرع، أو فرعاً يبنى على الأصل.

3-4 مفهوم الباب :

من المفاهيم الأساسية التي أولت بأهمية كبيرة عند الحاج صالح مفهوم الباب، إذ يتعلق باللفظ والمعنى إفراداً وتركيباً في كل مستويات اللغة، فقد أطلق سيبويه هذا المفهوم، كما يبنى الحاج صالح على المجموعات المرتبة من الحروف الأصلية للكلمة الثلاثية مثل "ضرب" وغيرها، وكذلك على مستوى أبنية الكلمة " وزن الكلمة".

فالباّب على مستوى التّركيب أن توضع القوانين في فئات محدّدة، مثل باب أسماء الأفعال، وهو يشبه المجموعة في الرياضيات. وعليه يمكننا القول بأنّ الباب هو عبارة عن المجموعة التي تضم وحدات متشابهة تربط بينها علاقة محدّدة.

ومنه فإنّ الباب عبارة عن مجموعة مرتّبة من الحروف الأصليّة للكلمة الثلاثيّة (صالح، بحوث ودراسات ج1).

على نحو: س ب ل / س ل ب / ب ل س / ل ب س / ل س ب .

3-5 الموضع والعلامة العدميّة :

إنّ مفهوم الموضع له أهميّة قصوى، فهو لا يعتبر مجرد موقع للعنصر اللغوي داخل التّركيب بل قد يكون أحيانا فارغا، لأنّ الموضع شيء وما يحتوي عليه هو شيء آخر وهذه مفاهيم رياضيّة محضة وهي أهم صفة يتصف بها التحويل الخليلي.

أما العلامة العدميّة فهي التي تختفي في موضع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضع آخر . وذلك كجميع العلامات التي تميز الفروع عن أصولها (المفرد والمذكر والمكبر لها علامات غير ظاهرة بالنسبة للجمع والمثنى والمؤنث والمصغر) . (صالح، ينظر، كتاب بحوث ودراسات ج1 ص 222).

3-6 القياس :

ركز النحاة واللغويون القدامى في صقلهم وتقعيدهم للقواعد النحويّة على طرائق وآليات من بينها آليات عقلية كالقياس، فالمتكلم والناطق للغة العربيّة ينقل ويقيس ما لم يسمع على ما سمع، ولأهميّة القياس اعتنى به علماء اللغة العربيّة، وجعلوا فيه مفاهيم متعدّدة وقامت معه نظريّة تعدّ أصلا من الأصول التي بني عليها النحو .

يحصل القياس في النحو العربي بناء على عملية منطقيّة رياضيّة، وفق التفرّيع من الأصل، بناء الكلمة أو الكلام باستعمال مواد أوليّة وهي كالمعطيات واحتذاء صيغة الباب الذي ينتمي إليه العنصر المحدد وهذا التفرّيع لا يجوز إلا إذا اطرّد الباب وإذا لم يطرّد فيقاس على الأكثر أي الصيغة الغالبة في الباب والاستعمال.

القياس عند النحاة :

هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه، أي قياس شيء على آخر، فعماد المنهج النحوي عند الخليل وصاحبه يعد تصنيف الكلم إلى زمر فكرتان هما عمودا القياس الذي يكاد يكون الباب منهجها، وهما فكرة العامل وفكرة الأصول والفروع وما تتبعه من تعليل، وهذا هو قوام القياس، وقد تنبهوا، أن القياس، بهذا المعنى". (الياس، 1985).

ومن هذا يتبين بأن القياس عملية عقلية، أي تقدير شيء على شيء آخر لعلاقة تربط بينهما، كأن يحمل شيء مجهول على شيء معلوم.

وبما أن اللغة في حالة تجدد وتطور فهي بحاجة إلى هذا القياس، الذي يعد إجراء من الإجراءات العقلية.

3-7 مفهوم الاستقامة :

يقول سيبويه في باب الاستقامة من الكلام والإحالة: "فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب" (سيبويه، 1988).

إن أول من ميز بين السلامة الرجعة إلى اللفظ، والسلامة الخاصة بالمعنى، هو سيبويه، ثم ميز أيضا بين السلامة التي يقتضيها القياس (أي النظام العام الذي يميز لغة من لغة أخرى) والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين، وعلى هذا فإن التمييز يكون بهذه الكيفية :

— مستقيم حسن = سليم في القياس والاستعمال

- مستقيم قبيح = غير لحن ولكنه خارج عن القياس وقليل

محال = قد يكون سليما في القياس والاستعمال ولكنه غير سليم من حيث المعنى" (صالح، بحوث ودراسات

ج2) .

4. خاتمة:

من خلال هذا العرض السابق، يبدو جليا بأن ما قام به الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، ومنذ السنين الطوال كاشفا ومحلا ومبرز جهود العلماء الخالص الأوائل في دراسة اللغة العربية وعلى رأسهم الخليل وسيبويه، متبعا في ذلك خطوات ابستمولوجية دقيقة مكنته من تحليل المفاهيم التي قام عليها الدرس اللساني العربي، ومقابلة ما وجده في التراث، مع بعض ما توصل إليه علماء اللسانيات الحديثة. فبين بذلك نقاط الالتقاء والافتراق، ليس من منظور

قومي بل بدراسة علمية تجريبية أنكرت الذات لتتسم بالموضوعية في الطرح، مخلفا وراءه العديد من المشاريع التي تلقفها الباحثون واللسانيون العرب، كمشروع الذخيرة اللغوية، والترجمة الآلية، والمعجم العربي الإلكتروني .

5- الهوامش:

1. صالح بلعيد، اللغة العربية العلمية، دار هومة، الجزائر، 2003 ص106.
2. ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية، ندوة اتحاد الجامعات العربية جامعة الجزائر 1984، ص1.
3. محمد صاري، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، الجزائر، 2000، ص18.
4. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص251.
5. صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، دار الفكر، عمان، ط1، 1998، ص21.
6. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص170.
7. المصدر نفسه، ص225.
8. ينظر، ينظر عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، مقال مجلة المبرز، العدد2، الجزائر، 1993، ص21.
9. ينظر المرجع نفسه، ص22.
10. بشير ابرير، أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة، مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر، 2005، العدد7، ص5.
11. المرجع نفسه، ص222.
12. المرجع نفسه، ص222.
13. صالح بلعيد، اللغة العربية العلمية، دار هومة، الجزائر، 2202، ص109.
14. منى الياس، القياس في النحو، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1985، ص25.
15. عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص371.
16. أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1988، ص25.
17. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص18.

6. قائمة المراجع:

- صالح بلعيد، اللغة العربية العلمية، دار هومه، الجزائر، 2003 .
- عبد الرحمن الحاج صالح، الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية، ندوة اتحاد الجامعات العربية جامعة الجزائر 1984 .
- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، موفم للنشر، 2012 .
- محمد صاري، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، الجزائر، 2000.
- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2012.
- صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، دار الفكر، عمان، ط1، 1998.
- ينظر عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، مقال مجلة المبرز، العدد2، الجزائر، 1993.
- بشير ابرير، أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة، مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر، 2005، العدد 7.
- صالح بلعيد، اللغة العربية العلمية، دار هومة، الجزائر، 2202.
- منى الياس، القياس في النحو، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1985.
- عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012.
- أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1988، ص 25.